وإذ طفا «هرمز» في نهاية الأمر على سطح أحلامه فقد أراد حقّاً أن يوافق بهزّة من رأسه على أن المجد قد كلّله هو. بيد أن «كرديز» استأنف كلامه قائلاً:

ـ الأمير محارب، مثله مثل جميع أفراد السلالة الإلهية. وكلّ معركة هي بالنسبة إليه فرصة لإظهار قيمته. ولقد خيّب أهل (دَبْ) رجاءه. فلم يستحقّوا غير احتقاره.

واستُقبل هذا التصريح في القاعة بعاصفة حقيقية من التهليل. ولم يفقه «ماني» شيئاً من ذلك الاندفاع.

ـ ها هي ذي مدينة تتقبّل سلطة الأمير وتفتح له أبوابها وتستعدّ لاستقباله بالخضوع والطاعة وتقديم الهدايا إليه. ويُراد لها العقاب!

بيد أن الحقيقة أفلتت صافية ساذجة من فم «هرمز».

ـ مُذ سار جنودنا وهم لا يفكّرون في غير خيرات (دَبْ) وأسواقها ومستودعاتها ونسائها. وكنّا في كل مرّة كان عليهم فيها أن يقطعوا جبلاً أو صحراء من الملح نحدّثهم عن (دَبْ).

ـ ولكنْ إذا فتحت المدينة أبوابها فإنّ قانون «الإمبراطورية» يقضي بألاّ تُنهب!

بالضبط. لقد بدأ «ماني» يفهم في اللحظة التي كان يتحدّث فيها بالذات. فلم يكن يؤخذ على تجّار (دَبْ) جُبنهم، بل حكمتهم. وبرفضهم القتال كانوا يحرمون النهّابين من الأسلاب! وما كان من شأن هذا إلاّ أن يزيده شعوراً بأهمية ما كان يقوم به من مفاوضة باسم المدينة. ورفع صوته بالكلام:

ـ أبواب (دبْ) مفتوحة، ولوسف تبقى كذلك. لقد رحلت الحامية، وما من حامية أخرى ستحلّ محلّها. ليس في المدينة قطعة سلاح واحدة، فحتى سكاكين المطبخ كُسرت! في وسع الجنود أن يدخلوا، وبإمكانهم أن يقتلوا وينهبوا وينتهكوا الأعراض ويحرقوا، إلا أن ذلك سيكون خيانة تَبَعاً لقوانين «الإمبراطورية» ولقوانين «السماء». ولا يسعني أن أتصوّر لحظة أن يسمح بذلك أحد أبناء السلالة العظيمة الأبرار.